الخروج من برج القوس
ملاحظات في الولادة والشعر والموت

ما أريد قوله هنا سيكون أشبه ببيان ختامي لعمل ظل في باطن شعوري وعلى هامش اهتماماتي بدليل تواريخ كتابة نصوصه التي تعود إلا القليل لفترة سابقة من وعيي الشعري والنقدي.وها أنا أنشره ربما شعوراً مني بأن أوان إطلاق سراحه سيوافق إطلاق سراح الروح من قفص الجسد والمغادرة إلى عدم يتوسم فيه الإنسان غداً لا يعرفه لكنه يترقبه كموعد مؤجل..أو محطة يقف فيها القطار ولا ندري مَن سينزل مِنه أو يصعد إليه..

كثيرا ما كنتُ أقول عندما أُواجَه بسؤال عن الشعر وموقعه في لائحة الكتابة عندي : إنني لم أبحر بعيدا عن شواطئه، وأن علاقتي به ليست زوجية بل عشقية ،كان ذلك يعفيني من المهنة وروتينها والتزاماتها ويبعدني من الفهرسة والتصنيفات الجيلية – الجينية؟– ويبقيني على مسافة أمان من الكتابة الشعرية هي كالمسافة بين المشاهد واللوحة الزيتية : إذا اقترب منها كثيرا ضاعت معالمها واضطرب المنظور وتراتب الألوان. نقد الشعر وقراءته كفيلان بضمان البقاء في دائرته،

تتبـدل الأسـاليب والـرؤى والأشـكال والأنـواع الشـعرية ، ووسـط ذلـك أجـدني عنـد أصـنامي وأوثاني: أبي تمـام لاهجـاً بصـور ملونـة بالكـلام، المتنـبي في القـديم اللامـع تحـت تـراب القدامـة، والمعـري بعـذاب جرأتـه علـى المسـكوت عنـه ، والسـيَّاب في هبّـة التجديـد الجـذري والتأصـيل ، وأدونـيس في شـغب الشـعر وتحـولات القصـيدة ، ومـع رعيـل مـن قبيلـة الشـعراء المحـدثين الخـارقين للمـألوف...يخبئ قلـبي أشـعارهم ونـداءاتهم في بيـداء القصـيدة والحياة والجمال..

مـع هـؤلاء أجـد نفسـي وأتلفـظ متمتمـا بالقصـيدة الـتي قـد لا تنتمـي للشـعر ككتلـة وكيـان وجسـم ثقيـل. القصـيدة تنحـو صـوب التميـز والاخـتلاف وسـنّ قـوانين جديـدة ، بينمـا يميـل الشـعر كمـا تكرّسـه الذائقـة والوجـدان الجمعـي إلى تأسـيس أعـراف وتقاليـد والـدفاع الغريـزي عنهـا ، الشـعر فحولـة والقصـيدة تتمـرد علـى أبوتـه وقيـوده لتؤسـس ذاتهـا كوجـود خـاص، لهـا طقـس قـراءة لا يلتـزم بالاجـترار المعهـود في قـراءة النصوص.

هكـذا أهـبط مـن بـرج القـوس المكسـور دائمـا لكـي أرمـم مـا تبقـى مـن حيـاة ومـا ظـل مـن طاقـة في الـروح الـتي أثقلهـا السـير في ظلمـات الـوعي وشـقائه وشـظايا الجسـد المجـروح في أعمـاق روحه .

أهـبط ومعـي الملفـوظ وحـده منتظمـا في نثـر مـا زلـت أحسـب أنـه لا يقـدم أثمـانا للوزنيـة المدَّعمـة بالغنائيـات المبتذلـة ، نثـر يضـيء الـروح ودهـاليز الـوعي ويعقـد صـلة بـين احتراقـات الـداخل وتمثـيلات الخـارج ، بـين الشـعر والقصـيدة ، بـين الـولادة والموت،وبهـذا وحـده تتقـدم هـذه القصـائد المولـودة بـلا تسـميات وبـلا تصـنيفات مسـبقة والمكتوبـة في سـنوات متباعـدة ، يقربهـا مـن بعضـها ولادتهـا في ظـلال أسـوار بـرج القـوس الـذي يـتراءى مكسـورا منكسـرا ، منفـتح الجـرح إلى آخـره لا يبـين لهـا أول، وأول لا آخر له...

حاتم الصكَر